

الهُواري



إبراهيم رمزي

الحواري

الهواري

رواية تلحينية عربية ذات فصل واحد

تأليف

إبراهيم رمزي



هنداوي

رقم إيداع ٢٠١٢/١٥٠٩٣

تدمك: ٨ ٨١ ١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: هاني ماهر.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2016 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧

٩

أشخاص الرواية

المنظر

أشخاص الرواية

الهُوَّاري: رجل شريد من صحراء عيذاب بمصر سنُّه ٦٠.

قام بأداء هذا الدور عبد العزيز أفندي خليل.

الأب: أبو مصطفى وعمدة إحدى قرى الفيوم سنُّه ٦٠.

قام بأداء هذا الدور عباس أفندي فارس.

مصطفى: ابن العمدة وعاشق سلمى تلميذ بمصر سنُّه ١٧.

قام بأداء هذا الدور الشيخ حامد مرسي.

الأم: أم مصطفى امرأة العمدة سنُّها ٥٠.

قام بأداء هذا الدور الست ماري كافوري.

سلمى: ابنة أبي الفوارس الهواري سنُّها ١٥.

قام بأداء هذا الدور الست سرينا إبراهيم.

جَمْعُ من الفلاحين والفلاحات وامرأة من القاجار.

وُضعت هذه الرواية في شهر يونية سنة ١٩١٨ ومثَّلتها فرقة الأستاذ جورج أبيض في

تياترو باتيه في ١٢ أغسطس سنة ١٩١٨ ولحَّن أناشيدها الأستاذ سيد درويش.

المنظر

«حضير» في منزل أبي الفوارس الهواري من دوار أبي مصطفى عمدة القرية الفيومية. به مصطبة إلى أعلى. إلى جوارها من اليمين باب، هو في الوسط، واسع يظهر منه عن بعد مزرعة قطن أشرفت عليها شمس الغروب فهي زاهية، وإلى يمين المسرح باب غرفة وإلى يساره غرفة أخرى، بل هي ردهة تؤدي إلى بيت العمدة. والمكان مفروش بحصيرة «قياس». والمصطبة عليها «شريط» من السمار له مساند من القطن، مخدات.. وقد ترى أدوات المنزل من قلل وزير وما يلحق بمنزل عربي يعيش عيشة الفلاحين من أدوات الدار. إذا ارتفع الستار وجدت الحسناء سلمى جالسة في حالة تفكير على المصطبة وهي لابسة جلابية عربية قصيرة؛ أي إنها تصل إلى ما دون الركبة بفرق تقريبا. وعلى رأسها عطفة زرقاء. وهي بيضاء اللون خميرية لون الخد صغيرة الوجه وفي عنقها عقد من العقيق والخرز الأزرق ... ثم تسمعها تغني ترنما.)

سلمى:

طال شوقي لحبيبي مصطفى غاب عني أشهرًا وما اكتفى
يا حبيب القلب أدرك مدنًا كاد يرديه التجني والجفا

(في هذه الأثناء كان مصطفى قد وصل إلى البلدة من المحطة وهو بلباسه الإفرنجي فلما سمعها تغني هذه الأبيات انطلق يرد عليها بالأبيات الآتية.)

مصطفى:

أين سلمى أين من قد شغفا بهواها القلب حتى تلفا
إن تضحني بالسلام صلفا جُدتُ يا سلمى بنفسي سرفا

(فلما سمعت سلمى صوته نهضت من مكانها وتلفتت هنا وهناك.)

سلمى: من هذا الذي يسميني باسمي! أأكون مصطفى قد عاد من القاهرة! وي
(يدخل مصطفى) مصطفى! (تجري إليه ويجري إليها فاتحاً ذراعيه! وتستسلم له.)
مصطفى: سلمى، سلمى! (يقبلها.)

سلمى: مصطفى! مصطفى (وتنظر في وجهه تمتع عينها برؤيته وتسكت مدة
طويلة ثم تقول) أنت هنا أيها الحبيب! أنت هنا ولا تدخل علي! كيف؟ أخبرني.
مصطفى: أتيت من القطار إليك تَوًّا.

سلمى (تأخذه إلى الأمام): والله لو كنت قد مررت ولم تَمَلِ عليَّ قبل سواي ما
عفوت عنك.

مصطفى (بتلطف): كيف أمُلك أن أرى قلبك أحداً؟ إن أُمي تلتهب شوقاً إليّ وهي
هنا لا يفصلها عنك إلا وصيد الدار. ومع ذلك ... (يقطع حديثه عن أمه) آه يا سلمى! ما
تمنيت على الله شيئاً في هذه الأشهر الثلاثة التي احتبست فيها في المدرسة بعد عيد النحر
إلا أن أراك وأملأ عيني من نور هذا الوجه الصبيح (يقبلها) وأمتع هذا الصدر بضمك
إليه (يضمها إلى صدره) هنيهة من الزمان ليهدأ هذا القلب الذي يدق الآن لصاحبه دق
البشرى بهذا اللقاء يا سلمى! كيف حالك أيتها الحبيبة؟

سلمى: كما ترى يا مصطفى! كما ترى! لقد شقني الوجد لنواك، ولطالما تمثّلتك
جالساً إلى جانبي في بطن وادي الصفصافة ثم تنبّهت لنفسي فلم أجدك بجوارني فأسرفت
عيني في دموع تروي شبح تلك الصفصافة التي سقيناها من قبل شآبيب السعادة
وأمواه الغرام. خبّرني كيف كان بُعدك عني؟

مصطفى (بتأوه خفيف طويل): كيف كان! كيف كان! ألا تعرفين؟ (ثم ينطلق
يغني الأبيات.)

سلي خيالك عن قلبي وما وجدا وما لقيت وما لاقى وما شهدا

قد كان في القلب طيف منك يؤنسني
فإن بكت وحدتي عيني فقد أمنت
كم ليلة بثُّها أرى سواهدّها
ملنّ مني أنّات أرددها
يا أيها الجفن خبِّرها بما فعلت
وإذ بلغت المنى فاعصِ الدموع إذا
أو فأرو بالدمع وردّ الخد تلتّمه
لا تجرّ يا جفن دمعي في اللقاء على الـ

واليوم من نار هذا القلب قد شردا
نفسى عليه من النيران إذ بعدا
حتى رقدن وجفني قط ما رقدا
فَمِلنَ عني مع الصبح الذي وفدا
بك الدموع وأشهد ذلك الرمدا
هلّت تحيي محيّا البدر حين بدا
عند اللقاء وغصن القد إذ ملدا
خدين مني مجرى حرقة أبدا

(ينشد هذه الأبيات وعيناه مغرورقتان بالدموع فتدني سلمى يدها من عينيه
وتمسح الدموع وهي تحادثه أو تقبله بلطف.)

سلمى: هوّن عليك أيها الحبيب! إنك الآن بين ذراعي فجفف هذي الدموع، حرام
أن تجري دموع السرور على خدك حيث جرت دموع الوجد والأنين (تقول هذا وهي
مغرورة بالدموع).

مصطفى: وأنت أيتها الحبيبة، لماذا تبكين؟

سلمى: إن هي إلا دمعة فرح بلقياك اعتدتها في نواك، أتحسب أنك فارقتني أيها
الحبيب؟ لقد كانت أيامي بك وليالي فرقة ساعة تعقبها بطيفك لقاها هناة، تدر لها عيني
درة غبطة ونعيم (تجلس بجواره) ووما قريب نجتمع اجتماعاً لا فراق بعده. أفتأبى عليّ
أن أودع الوجد بدمعة وأستقبل السعد بأخرى؟!

مصطفى: افعلي ما شئت أيها الحبيبة فإنني أعرف ما في الدموع من لذة الدامع.
ولعمري (ذراعه حول عنقها) ليس من حق المحب أن يُدَلَّ على المحبوب ببكاه؛ فإن له
من هذي الدموع سلوى لنفسه وعزاءً لروحه.

سلمى: هو كذلك أيها الحبيب (تتنبه إلى وقع أقدام فتلتفت) من القادم؟

مصطفى (يتنبه بلطف): من؟

سلمى (تنهض وتسير صوب الباب الموصل إلى بيت العمدة إلى يسار المسرح
بالنسبة للمتفرج): هذي أمك آتية.

مصطفى (ينهض عجلًا عن المصطبة): أمي! وا سواتاه! إنها ستعيب عليّ أني لم أرها أول الناس. ماذا أقول لها؟

سلمى: قل لها ما شئت أيها الحبيب، إنه لا يغضبها أنك معي أو تكون لي.

مصطفى: كيف؟

سلمى: هي قالت لي ذلك ... مرحبًا بك يا خالتاه.

الأم (تدخل وعلى رأسها صينية عليها أطباق مغطاة وهي في لباس نظيف مهتم من لباس أهل القرى وعلى رأسها عصابة من الحرير النفيس الملون بمختلف الألوان ذات أهداب طويلة مدلاة فوق ظهرها، وهي في الخمسين من عمرها أو دون ذلك): مرحبًا بك يا سلمى. هذا طعام أبيك يا بنيتي. (تلتفت) وي! مصطفى! أنت هنا؟! **مصطفى**: معذرة يا أماه.

الأم (تناول الصينية سلمى فتدخلها هذه الغرفة اليمنى على المصطبة وتهرع الأم إلى ولدها تقبله): يا حبيب قلبي! لقد علمت من الكلاف أنك وصلت من المحطة بالسلامة. فلما لم تدخل زعمت أنك ذهبت للقاء أبيك (تعود سلمى) ولكنك لم تشأ أن ترى هذا أيضًا. أخذت تنساني يا بني! ماذا ينسي الولد أمه إلا الحبيبة التي يهواها (تنظر إلى سلمى باسمه).

مصطفى: ما نسيت والله يا أماه. ولكني رأيت سلمى قريبة مني فلم أشأ أن أمر بدارها ولا أراها. أنت علمتني ذلك يا أماه. ألم تقولي لي أثر عمك الهواري على أبيك في البر وابنته سلمى على أختي هاجر؟ **الأم**: صدقت يا بني، كن كذلك دائمًا. ولكني أم، فلا تؤاخذني إذا نسيت ما به أوصيتك.

سلمى (تتقدم منها وتتعلق بأكتافها وتنظر إليها): يا خالتاه! لو جازت الصلاة لغير الله لصليت لك. ولكني لا أملك إلا حبًا عظيمًا وشكرًا خالدًا لا يعلم إلا الله وأبي نجواه.

الأم: أنت ابنتي يا سلمى (تقبلها) وستكونين لابني هذا عما قريب. لن يمر إن شاء الله أسبوع حتى أرفك إليه وأراكما مني كالحمامتين لدى برجهما يتناجيان وسأبني لكما دارًا بالقرب مني، من مالي أنا ثم أهدبها لك أنت يا سلمى (تقبلها).

سلمى (تقع على ركبتيها وتتعلق بالثوب حيث تصل يدها من قامة الأم): اللهم اغفر لي ركوعي، فإنما هذا الجود من جودك وهذي المروءة من إحسانك، لا طاقة لي على شكرك قائمة (تأخذ يدها وتقبّلها).

مصطفى (يقف يتنهد من الفرح): وا فرحتاه!

الأم: سلمى، سلمى! انهضي يا بنيتي، وتعالى معي إلى الدار لأعطيك العقد الذي دخلت به على أبي مصطفى.

مصطفى: انهضي يا سلمى (يذهب إليها وقيمها) هذا عقدٌ مبارك إن شاء الله، إنه من الدرر النادرة يا سلمى وللدرّة في البيت بركة عميمة.

سلمى: شكرًا لك يا خالتاه.

الأم: واذهب الآن يا مصطفى إلى أبيك، إنه عند السواقي وإذا سلّمت عليه وجلست منه فقل له أمي تُقرئك السلام.

مصطفى: طوعًا يا أماه، ولكن ما معنى هذا؟ أأنك لم تريه منذ عهدٍ بعيد؟

الأم (تضحك بهدوء وصوت لا أثر فيه للحدة مطلقًا، بل هو ضحك القانتات كالراهبات ومن أشبههن): ها، ها، إنه علامة بيني وبينه، لقد طلبت إليه أن يفتح ضيفنا الكريم في شأن زواجك فقال إنه يخشى ألا تكون لك رغبة في الزواج وقد جعل عليّ أمر سؤالك. وها أنا ذا قد عرفت كل شيء، فاذهب إليه أقرئه السلام، ثم تعال إلينا في الدار على بركة الله. هلم يا سلمى (تخرج هي وسلمى. وإذ ينفرد مصطفى بنفسه يأخذ يتطلع إليها لحظة ثم ينطلق ينشد):

من ثغرك العذب، أقداحًا تداويني
وجدًا عليك ولا نوح يغادينني
بل فرحة بك في نعمى تواليني
وافاني الدهر عن صبري يجازيني
والدهر أكرم نفسًا لا يعادينني
هل يحسب الصب إلا في المجانين؟
والصب يا دهر مسكين المساكين

صفا لي الدهر يا سلمى فعاطيني
دنا الوصال فلا دمع يباكرني
سأسهر الليل لا شجواً ولا أرقاً
صبرت للحب حتى إذ وهى جَلدي
أُتني على الدهر فضلًا كنت أنكره
يا أيها الدهر عفواً إنْ يَلْمَكَ شَجْ
أحق بالبر مسكين شكّا فلحاً

(يهم بالخروج من الباب الأوسط وإذا بأبيه العمدة داخلًا فيلأقيه.)

الأب: ولدي، مصطفى! مرحبًا بك في دار أبيك، لماذا لم تجئني يا بني؟ لقد علمت أنك وصلت من المحطة منذ ساعة، فلما لم تجئ إليّ تمتعني بنظرة إلى هذا الوجه الصبيح سعيت إليك يا بني.

مصطفى: عفوك يا أبي، لقد كنت على وشك أن أسعى إليك ساعة دخلت، فإن أبى الله إلا أن تجيء أنت إليّ فذلك لأن الله يابى إلا أن يكون لك الفضل عليّ في كل شيء وليكون لي من تقصيري خجلة تذكرني دائماً أنني لا أستطيع أن أجزيك عن برك بي لا حباً ولا شكراً. اغفُ عني يا أبتاه! اغفُ عني (تدمع عينه).

الأب: إليّ يا بني إليّ! لا تبك، لماذا تبكي؟ إنني إنما أعيش لك وأسعى، وأجمع المال ليكون لك عدة في الحياة، فإذا سعيت على قدميّ فإنما أسعى إلى نفسي، وحسبي يا بني أن أراك بعيني كل يوم، هذا جزائي منك ولا أطلب إليك سواه.

مصطفى: أه يا أبي! لولا أنه يجري في عروقي من دمك النبيل فيض كوثري لأفسدني هذا المقال. ولكنني أعلم يا أبتاه أن حب الوالد من حب الله، ومن يحبه الله فقد وجبت له عليه الصلاة. سأصلي يا أبي! أجل سأصلي فوق الفروض والسنن، فرضاً عليّ بما نَعمني به من حبك، ثم أدعوه أن يطيل في حياتك لأتذوق نعيم الجنة في الدنيا، فما حياتي في جوارك إلا كحياة الأبرار في ظل الملائكة الأطهار.

الأب: شكراً لك يا بني شكراً (يقبله)، رأيت أمك؟

مصطفى: أجل يا أبي: وهي التي دلّنتني على مكانك حين هممت إليك محملاً منها برسالة سلام.

الأب: كيف؟ ماذا حملتك؟

مصطفى: كلفنتي أن أذهب إليك فأقرتك السلام.

الأب (يبتسم): وعليها السلام ورحمة الله. (يسكت ثم يتكلم) أفأنت إذن لا تأبى زواج سلمى؟

مصطفى (بحياء): أبي!

الأب: لا تستحي مني يا بني! خبرني ولا تحتشم. لقد كانت عزيمتي قد صحّت على تزويجك في هذا العام بعد إذ أتممت دروس المدرسة وبلغت سن الرشد. إنني لا أود لك أن تسلك طريق الحكومة، لا كبيراً عنها، ولكن أجدادك الأقدمين كانوا حكاماً ومنهم من لم يُرض الله ولا الخلق، وأنا رجلٌ عجوز احتسبت أولادي عند الله جميعاً كما احتسب ضيفنا الهوراري ذكوره جميعاً. وأشتهي يا بني أن أزفك إلى عروس يرتاح لها قلبي كما ارتاح لأمك المباركة، ليكون لك أولاد يتصل بهم نسبنا في الصالحين. فماذا ترى في ذلك؟

مصطفى: أنت وما ترى يا أبتى.

الأب: أيرضيك أن أزف إليك سلمى ابنة ضيفنا الهواري؟

مصطفى: أبتى!

الأب: أريد أن أسمع منك جواب الرضا إن رضيت. إن أمك تبلغني رضاك، ولكنني

أود استماع الجواب منك (بيتسم).

مصطفى: أجل يا أبتى، افعل ما تريد متكرماً.

الأب: أم ترى أن أزف إليك فاطمة ابنة خالك؟

مصطفى: بل سلمى يا أبتى، إنني أحب سلمى.

الأب: ها، ها، ها. فلتكن سلمى يا بني، هذي فتاة تصلح لك وما كنت أشتهي إلا أن

أراها في بيتي قياماً بحق المروءة عليّ. لا تحسب يا بُنيّ أنها كعامة الناس، إن أباهما هذا

كان سيد قومه، كان زعيم بطن من الهوارة يسكنون صحراء عيذاب ثم اختلف بعضهم

معه على دار وتقاتلوا حتى أفنى بعضهم بعضاً. وكان أبو الفوارس مقهوراً فنياً بنفسه

عن مكان بذلته تاركاً من ورائه جثث خمس من أولاده وقصد الفيوم بابنته سلمى هذي

وعمرها إذ ذاك دون التاسعة. ولما نزل عليّ يا بني ضيفاً لم يكن يتذوق طعامنا إلا كل

ثلاثة أيام، كبراً عن طعام الناس. ولكنني كنت وحقك يا مصطفى لا أذكر أنه ضيفي ولا

أشعر أنه في بيتي، وإنما أشعر أنني وإياه في بيت الله، فما هذا الملك الواسع إلا من فضل

الله. ولقد عاشرت الرجل فتبينت حاله وتفحصت معدنه، وعلمت أنه نقطة عطر مشترارة

من ربيع الأعراب. ولقد كنت تاكلًا وكان تاكلًا أيضًا فجمع الأسي بيننا. ثم رأيت يتأفف

من مكثه عندنا فأقطعته ما ورثته عن أمي وقلت له إن هذه الأرض لقاح لا يملكها أحد،

إنما هي لمن أرادها. فأخذها يزرعها ليطعم نفسه منها. وأعطيته هذه الشقة من دؤاري

حتى يبني له داراً. ولكنه علم بعد عهد أن الأرض لي فأكبرها ولم يعلم أنني غيرت من

حبي له، فأوى الرجل إليّ وأقسم لا يفارقني حتى الممات.

مصطفى: أحسنت الصنيع يا أبتى، أحسنت.

الأب: فإذا زوجتك من سلمى، فإنني أزوجك ابنة رجل كريم؛ أي عربي في الأرض لا

يعدل ملكاً!

مصطفى: أجل يا أبتى أجل.

الأب: حسب الإنسان في الدنيا أن يكون عربياً ليكون كريماً. فإذا زفّت سلمى إليك، أتم به برهان ودي للهوراري، فإنما أرف إليك بها العزة والمجد والظاهرة بله هذا الجمال الذي لا يفوقه فيها إلا جمال نفسها وأدبها.

مصطفى: صدقت يا أبي! صدقت.

الأب: هنيئاً لك يا بني ولي ولأمك! اذهب الآن إليها وخبرها تبعث في طلب أختك هاجر هي وأولادها وزوجها من كفرة سليم على الفور. إنني سأفتح الهوارى في شأنها الساعة، ولن تبيتن الليلة يا مصطفى إلا عروساً.

مصطفى: أمسك يا أبي عني! إن صدري صغير لا يسع كل هذا السرور، أرجئ ليلة العرس أو أخفها عني وليكن عقد الزواج سراً، وإذا زففتني فليكن بلا حفاوة؛ حتى لا يعلم هذا القلب الثائر (يضع يده على قلبه) بهذه السعادة ولا ينفطر. أمسك يا أبي أقصر (ينشد وهو بين ذراعي أبيه):

ليسا ما تنظر إلا حلما	أيها القلب تمهل واتئد
كلما تخفق أن ينهدما	أوشك الصدر الذي تضربه
إنها أبعد من هذي السما	لا تصدق أننا نلنا المنى

(ثم يلتفت لنفسه.)

فاعتبر يا قلب، من يدريك ما	في ضمير الغيب عني كتما
ما لنفسى قد تولاهما الأسى	وغدا قلبي لقولي وجما
لا يرُعكَ القول يا قلبي وكن	مثلما تهوى طروباً مغرما
دُقْ يا قلب وثبْ واطفر وثل	لذة العيش ولاقِ النعما
وَالِ دقاتك ممرحاً وتَهْ	واملاً الأسماع بشرى كرما

(يخرج من باب الوصيد إلى الدوار.)

الأب: أجل يا بني هكذا يكون.

(وإذا بالهوراري قد دخل وهو لابس طربوشاً مغربياً ذا زر طويل وعلى صدره شال أبيض من الحرير وفي رجله مركوب أحمر.)

الهوراري: سلامٌ على أخي العمدة الكريم.
الأب: وعليك السلام يا أبا الفوارس، لقد هممت أن ألقاك فساك الله إليّ.
الهوراري: خيرًا إن شاء الله (يجلس على المصطبة) أجدّ شيء؟ إني علمت أن ولدنا مصطفى قد عاد من مصر سالمًا ليقضي معنا أشهر العطلة، فهل رأيته؟
الأب: أجل كان معي الآن ثم دخل إلى أمه.
الهوراري: حمدًا لله على سلامته.
الأب: سلمك الله (سكوت) يا أبا الفوارس!
الهوراري: لبيك يا عميد الكرام!
الأب: لي حاجة لديك.
الهوراري: مقضية إن شاء الله. تالله لقد أقسمت لا أخيب لك رجاءً ترجوه، مُرُ تُطَع، إن لك في رقبتي ذمة لا تُخفر.
الأب: شكرًا لك يا أبا الفوارس، أنت تعلم أنني مثلك رجل عجوز أكلت القبور أولادي.
الهوراري: أبقى الله عليك مصطفى، إنه لخير من قبيل.
الأب: آمين، آمين. وأرى أنه قد بلغ سن الرشد منذ عامين واليوم أتمّ علوم مدرسته في مصر، وحصل ما يكفيه فيما أظن لتدبير ما تركه لي أبي من الأرض الواسعة وما حصلته بإذن الله وتوفيقه.
الهوراري: تبارك وتعالى.
الأب: ولقد خطر لي يا أبا الفوارس أن أزوّج الغلام في حياتي لأطمئن عليه وأفرح به.
الهوراري: تحسن صنعًا؛ إن الزواج ليحفظ على المرء نصف دينه.
الأب: وإذا كانت الزوجة سالحة حفظت عليه النصف الباقي.
الهوراري: صدقت، صدقت.
الأب: وقال النبي عليه السلام: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس.»
الهوراري: عليه الصلاة والسلام. هذا رأينا نحن الهوارة والعرب أجمعين، وإلا لفسدنا وفسدت الأرض بنا.
الأب: ولقد رأيت أن أجعل صلتي بك بعد مامتنا كما كانت في حياتنا وأن تكون ابنتنا سلمى واسطة لذلك.

الهوري (يستوي متنبهاً): ماذا؟ ابنتي!
الأب: أنتم أيها الأعراب أطهر خلق الله دمًا وأعزهم وآباهم للضيم.
الهوري (يعود إلى مجلسه مفكرًا): شكرًا لك.
الأب: أنا رجل لا أداينك صراحة نسب، وإن كنت من سلالة السلطان طومان؛ إذ استوطن أحدهم الفيوم فأرًا من سيف السلطان سليم لما غدر بالسلطان المصري ثم اختلط بأهلها وخلف ذرية كنت أنا من بعضها.
الهوري (يتأوه):

رحمة الله على عهدٍ مضى	وزمان كنت فيه سيدا
يوم كان الناس يعيشون إلى	ضوء ناري في العشي أبدا
يوم كان الحرُّ من أفذاذهم	لا يمني النفس مني ولدا
وأراني باخعا نفسي بما	أوجب الفضل عليها والندی

الأب: ماذا تعني يا أبا الفوارس؟
الهوري: لا تقل يا أبا الفوارس، إن فوارسي قد ماتوا قتلهم أهلهم في صحراء عيذاب ولم يبقَ من سكان العرين إلا سلمى.
الأب: بركة الله فيها إن شاء الله.
الهوري: يا ليتني أفقدتها ولا أفقدت شعرةً من أولادي.
الأب: معذرةً إليك يا أخي، أيسوءك أن يسألك أخ لك لم تلده أمك زواج ابنتك بابنه؟
الهوري: أه أيها العمدة! كيف أبي عليك هذا وليس في مقدوري أن أرد إليك جميلاً وقد أقسمت لا أخيب لك رجاء. أما جئتك من صحراء عيذاب ثاكلًا محزونًا فعزيتني وأمنتني وجعلتني من بعض أهلك! تسقيني أنت القهوة بيدك وتحمل الطعام إليّ امرأتك وأنا رجل أنزلتني الأيام منزلة فوقها منازل الصغار والذلة! ثم ألم تعطني من مالك أرضًا واسعة فوق ما يرجو طالب الدنيا ولم يكن لك فيها منٌ ولا إعلان!
الأب: لا تذكر الأمر بحقي عليك! فما كان جودًا مني بل كانت أمانة الله عندي حتى جئت فأخذتها. لقد كانت أمة عربية من بني سليم، فإن أصابك مني شيء فهو حق لك لأنني ما أقطعتك إلا ما ورثت منها، والعربي أحق بتراث العربي.

الهوراري: ذاك غاية الفضل يا أبا مصطفى. نعم أنا هَوَّارة يا أبا مصطفى، ولن يسمح الهوراري بزواج ابنته من غير هوراري صميم، ولكني لا أستطيع أن أدلك على مكان جميلك من نفسي إلا بإجابة سؤالك: خذ ابنتي، لتكن لك بعد ساعة إذا أردت.

الأب: لقد نسيت عادتكم يا أبا الفوارس، فإن كان في نزولك عنها ما يسوءك فقد نزلت عن رجائي، وما أرجو منك رد جميل، فما لي عليك جميل وإنما ابتغيت منك فضلاً.

الهوراري: لك ابنتي، لقد رفعت يدي عنها، امض في شأنها كما ترى لا رأى لي معك.

الأب: شكرًا لك يا أخي شكرًا، أياكون بعد ساعة إذن؟

الهوراري: أجل بعد ساعة إذا أردت.

الأب: ائذن لي بشكرك، إنك أوليتني اليوم فضلًا جزيلاً (يقبِّله والرجل جالس) إنني زاهب الآن لأعد حفلة الزفاف وسأجعل مهرها مائة فدان، ثم أهب لمصطفى بهذا الزواج مائتين ويكون له ولأخته الباقي وهو غير قليل.

الهوراري: افعل ما ترى، وأرسلها إليّ متكرماً.

الأب: سمعًا، سلام عليك (يخرج من الباب الأيسر).

الهوراري: وعليك السلام والرحمة. (ثم ينهض ويتمشى في المكان منكس الرأس مدة

ثم يرفعه ويتكلم.)

أه من جور هذا الزمان! أه من تخاذل الإخوان! أيها العرب الذين قاتلوني في صحراء عيذاب فقتلوا رجالي وأولادي، وسبوا حريمي، وأفنوا بيت أبي الفوارس حتى لم يبقَ منهم إلا هذا الشيخ النادب وتلك الفتاة اليتيمة، هذا أنا ذا أنتقم منكم بما فعلتم. وهذي ابنتي؛ المهرة العربية الفرهة، أرفها بملكي إلى بردون من براذين هذه الأرض التي تضيع فيها الأنساب كما تضيع نقطة ماء السحاب في لجة البحر في العباب (يسكت ويتمشى ويكاد يختنق) وا سواتاه. وا سواتاه! أمنتقم أنا منكم أم أن هذي يد الدهر لا تزال تتغلغل في جوف حياتي! تنتزع منها قلبها وروحها ثم تتركني صعيدًا جررًا لا يحدث عني محدث ولا يخبر عني صدئ! ابنتي، ابنتي التي فررت بها من حومة الموت أسلمها بيدي إلى نغل من الأنغال، لتقطع ذريتي. وليكون لي منه أخرى توأخي الشيطان وتكون شرًا في الناس وبؤسًا! (يسكت ويبكي) أيها الهوارة الذين قاتلوني وقتلوا أشبالي أمام عيني، لقد عفا عنكم هذا القلب المحترق عفا عنكم طرفي التاكل! لو جاءني بالأمس منكم فتى حافي القدمين، عاري الرأس، لا معتذرًا ولا راجيًا ومد يده إلى ابنتي، غلابًا، ليفعم نفسي غمًا، ما أبيتها عليه، بل لزودته بما في يدي شاكرًا راضيًا؛ فإنما دمكم أيها الأعراب أظهر الدماء

وإن أفسدته الأحقاد. وأباؤكم أشرف الآباء وإن عقهم الأحفاد (يسكت ويتمشى) وي،
وي! ماذا جد بي؟ ماذا عراني؟ ما لي أنسى فضل هذا الفلاح الكريم علي؟! ما لي أنكر
بره بي؟ وا سواتاه ألم يجدي شريداً فأوى وعارياً فكسا وجائعاً فأطعم وعائلاً فأغنى.
يا لله من جحود الإنسان! كيف أبى عليه ابنتي وما نماها إلى فضلة ولا أبقاها إلى اليوم إلا
بره. وهذه النعمة التي أمرح فيها وأتقلب! أليست نعمته؟! لك ابنتي يا مصطفى جارية.
ألا إنما نسب الإنسان حسبه وما كان فضل أبيك عليّ ومذكور كرمه في هذه الأرض إلا
دليلاً على كرم المحتد وطهارة الأرومة. ويح الأعراب ما أشد كبرهم وأخطل رأيهم! من أنا
في الناس حتى أبى على هذا الجواد عذراء أنزلها كشح أهلها مرتبة الإمام (بتعجب) من
أنا؟! من أنا؟! أنا عربي، أنا هوراي، أنا أخو رسول الله ونصيره، تبّ فؤاد لم يَزَع حرمة
أهله! وشلتّ يمين تطعم المرء لذله! أيشتريني الرجل بلقمة، ويقتلني في ابنتي بمكرمة!
لقد طالما أكرمنا الناس وأطعمنا! ويحي لن يجري في عروق أحفادي دم من نغيل. ماذا
يقول الأعراب عن أبي الفوارس! وماذا أقول لنفسي (يسكت) أأفر بها من هذا المكان؟
أفر! أنا أفر وفي رقبتني للرجل ذمة وجميل وقسم ثم وعد؟ وا سواتاه! اللهم أخرجني من
أزمة هذا الضيق وأولني منك منةً وهدياً. أأقتل نفسي لكي لا أشهد بعيني جريمة يدي؟
ولكنه عار عليّ. واحر قلباه! ماذا ينفعني قتل نفسي ولن يمحو سوء سمعتي ومفسدة
الأحفاد (يسكت ثم يتكلم بصوتٍ خافت) أقتل الغلام (يسكت) أقتل مصطفى! وي! ماذا
أصابني حتى أجزى الرجل عن برّه بي أبد هذه الأعوام قتل ولده. لقد أنكرتني المروءة إن
أنا هممت بمثل هذا (سكوت) سلمى! أقتلها؟ أجل. هي ابنتي حتى اليوم، هي ملك يدي.
أقتلها تفادياً من عار تزويجها هذا أذفع للريب عني وسوء الظنة، ولن يكون مصاب
الفتى فيها كبعض مصابي. إن في الدنيا كثيراً من أمثالها، أما شرّفي فواحد، وما أقتلها
إلا ليعلموا أنني لا أنكر جميلاً، ولا أطيق نغيلاً، للموت أولى لها وأستر، وبني أبر وأرحم.

سلمى (من الخارج): أبي! ها أنا ذا.

الهوري: هذي هي، هذي هي (يجرد سكيناً من حزامه ويذهب إلى باب الوصيد
ويضربها عند دخولها).

سلمى: ما هذا يا أبي (تطل من الباب ثم تتراجع وتقع) أنا سلمى ابنتك، سلمى
أنا آه، آه. عفا الله عنك يا أبي (تسقط داخل الدوار).

مصطفى (من الخارج): ما هذا؟ سلمى! أدركونا أدركونا.

العمدة والأم: ما هذا؟ سلمى! هذا دم، وا مصيبتاه!

مصطفى (يدخل): ما هذا يا عمّاه لماذا قتلتها؟! أواه!

الهوري (كأنه لم يفهم السؤال): الآن محاً أبو الفوارس الهواري عار الأحفاد وجاء بالبرهان اعترافاً بالجميل. لم أكن أطيق نكران الجميل فوهبتها ولم أكن لأخون عهد العرب بتزويجها من نغيل فقتلتها.

العمدة (يدخل): لا حول ولا قوة إلا بالله!

الهوري: أيها العمدة الكريم لك مني جسدها ولي روحها وقد أخذت نصيبي في ابنتي فخذ الآن نصيبك (يلتفت إلى ابنته وصوته خافت مبحوح) أما أنت يا ابنتي فوداعاً (يبكي) وداعاً يا حبة قلبي، وإذا لقيت ربك فاشفعي لأبيك واعذري (يعلي صوته) لا تنسي أن النار خير في هذه الدنيا من العار. سلام عليك، سلام (ويخرج جارياً).^١

الأم: هلمّ يا أبا مصطفى! هلم بنا نذهب بها إلى النورية! إن في الفتاة نفساً يتردد (يذهب العمدة إلى امرأته ويحملان الفتاة ويخرجان بها. أما مصطفى فإنه منذ الأول يرتمي على المصطبة وهو في غيبوبة طويلة ثم يفيق).

مصطفى: أين ذهبوا بها؟ أين هي؟ أه واحر قلباه (ثم ينشد):

يا دهر غدرك لم يخطر على بالي	قد خيَّب الدهر يوم الوصل آمالي
يصلى لها القلب ناراً ذات أهوال؟	ماذا جنيت؟ أكان الحب مأثمة
نعمى الحياة إذا وافت بإقبال؟	أم أنت مغرّى بأهل الحب تحرمهم
إن كان هذا فإني تائب سالي	والله يا دهر ما كان الهوى بيدي
عني الجزاء إليها وهو أولى لي	هبني جنيت فلم أخلفتني وعدا
فإن تصبها تصب قلبي وأوصالي؟	أم أنت تعلم أنّاً في الهوى شرع
والرمح ترهفه من قدها العالي	قد كنت أحسب سيف اللحظ يحرسها

^١ هنا انتهت الرواية في الأصل ولكن الأستاذ أبيض ودّ أن يفرجها وطلب إليّ أن أختتمها ختاماً تراح به النفوس فأضفت ما يأتي بعد ذلك، ومع ذلك فقد دعاهم الموقف إلى الدخول بسلمى قتيلة وإسدال الستار بعد إنشاد القصيدة التالية.

وكنت أحسب أن الدهر يعطفه على الحبيبة ثغر باسم حالي
ويا أباهما وقد أهوى بطعنته هلا جعلت لها من إلفها تالي؟!
إن يجعل العُزْبُ خيرًا ما فعلت فلم يذكر لك الله إلا شر أفعال
الحب فوق غضاضات النفوس ومن تعارفا في الهوى كأننا من الآل
ومن تكون به حال يعاب بها يسمو به الحب من حالٍ إلى حال

(يدخل العمدة وامراته عَجَلين إلى مصطفى ويصيحان.)

الأم: تنشّط يا بني وافرح؛ إن سلمى لم تمت.
مصطفى: لم تمت!

(يسير إليها ويقبض على أكتافها.)

الأب: ستأتيك على الفور على قدميها.

(عند ذلك يدخل الفلاحون والفلاحات الذين كانوا مع سلمى يزغردن وتتبعهم سلمى ضعيفة بين أيدي النورية فلما يراها مصطفى يهرع إليها ويحتضنها ويُجلسها على المصطبة.)

مصطفى: سلمى، سلمى! لقد ردك الله إليّ، إنه لا يرضى لحبيبين مثلنا فراقًا كالذي أراده أبوك. إلى صدري أيتها الحبيبة، إليّ!
سلمى: مصطفى، مصطفى!

الأب: خذوا بشارتكم أيها الأحباب، وأنت أيتها الضيفة الكريمة (للنورية وتتقدم) لتكن لك عليّ عادة ثلاثة أرادب من القمح ومثلها من كل ما تخرج الأرض كل عام بما بشرت ودأويت. خذي الآن هذا (يقدم لها كيس نقود).

الأم: ومثلها مني من مالي الخاص.

النورية: شكرًا لك يا سيدتي.

مصطفى (ينشد):

حنّ الزمان وجاد لي بك يا حياتي والمنى

المنظر

ما عدت أشكو لوعتي يوماً ولا أخشى عنا
هذا النعيم المرتجى وأبي كرضوان هنا
قومي ادخليها وافرحي وتقبلي رسل الهنا

(فتقع على صدره فرحة وهي تقول):

سلمى: مصطفى، مصطفى.

(ثم يأخذها بلطف ويسير بها نحو الدوار والفلاحون والفلاحات يزغردن
ويسدل الستار.)